المحاضرة الأولى لمقرر الفلسفة العامة ف٢

أ.م.د منال مرعي

التعريف بمفهوم ما بعد الطبيعة:

بداية نتساءل هل البحث بما بعد الطبيعة هو بحث بما بعد الحياة، على اعتبار أن البحث في الطبيعة هو البحث في الحياة.

في الحقيقة إن المقصود بما بعد الطبيعة هو تعميق هذه الحياة التي نحياها باكتشاف أبعاد جديدة لها، ولكن كيف ظهر هذا المفهوم؟

لقد ظهر هذا المفهوم بطريقة عرضية حيث أن ناشري كتب أرسطو كانوا قد وضعوا دراساته الفلسفية بعد دراساته في العلوم الطبيعية، وعلى اعتبار أن العلوم الطبيعية تعرف باسم الطبيعة من هنا فقد أطلقوا على الدراسات اسم ما بعد الطبيعة، أي العلوم التي تلي العلوم الطبيعية بالترتيب.

إن ما بعد الطبيعة الذي وضعه أرسطو هو بحث في العلل الأولى، وعلى اعتبار ذلك فهذا يقتضي بالضرورة وجود علل ثانية، وهذا يوحي بأن البحث في الميتافيزيقا باعتبارها ميدان للعلل الثانية، لكن هذا غير صحيح لأن الميتافيزيقا لا تفترض أي وجود سابق عليها، ومهما يكن من أمر فإن أرسطو لم يبتدع هذا العلم لإن مسائل ما بعد الطبيعة درسها الفلاسفة الآيونيون،كما درسها أفلاطون وغيره، وهذه لمحة عن بعضها:

- هرقليطس: التغير والصيرورة" نحن لا نستحم بمياه النهر مرتين".
- بارمينيدس: الحقيقة هي ما لا يتغير.

- سقراط: توجه تفكيره الفلسفي إلى الناحية الأخلاقية (الحق، الخير، الجمال، الفضيلة)، حيث أن الوجود السقراطي مرتبط بالمعاني الأخلاقية.
- أفلاطون: أخذ عن بارمينيدس فكرة الوجود الثابت، ومن هرقليطس فكرة التغير والحركة، وعن سقراط فكرة الماهيات(المعاني)، وأصبح الوجود الثابت هو عالم المثل أما عالم الحس فهو عالم التغير.
- أرسطو: جعل موضوع الفلسفة الوجود بما هو موجود، أي الوجود يشمل كل ما في الخارج أو الذهن، إذ لا شيئ يخطر للذهن إلا ويكون موجوداً على صورة ما، حيث أن الوجود بما هو موجود هو البحث في المبادئ التي تجعل الوجود موجوداً مثل: مبدأ المادة – مبدأ الصورة – مبدأ الغائية – مبدأ السببية، حيث عن طريق هذه المبادئ يسيطر العقل عند أرسطو على الكون.

وبالانتقال لمصطلح الميتافيزيقا في الفلسفة العربية الوسيطة، نلاحظ أن هذا المفهوم قد أخذ صيغاً مختلفة ومدلولات متعددة:

- الكندي: الميتافيزيقا هي الفلسفة الأولى.
- الفارابي: الميتافيزيقا هي علم الوجود.
- الرازي: الميتافيزيقا هي العلم الإلهي.
- ابن سينا: الميتافيزيقا هي الفلسفة الإلهية.
- القديس أنسلم: الميتافيزيقا تأخذ معنى البرهان الوجودي.

كذلك انقسم المفكرون حول مسألة الماهيات (الكليات) إلى قسمين:

١- الاسميين: قالوا أن الماهيات هي مجرد ألفاظ نستعملها.

٢-الواقعيين: قالوا أن الماهيات هي موجودات حقيقية، ووجودها سابق على وجود وعي الإنسان، أي وجودها في العقول المفارقة.

بعد هذا التعريف لمفهوم ما بعد الطبيعة،لا بد لنا من الوقوف على مدلول ما بعد الطبيعة وتجلياته في الفكر الفلسفي، فكيف تبدى هذا المفهوم فلسفياً؟

مدلول ما بعد الطبيعة في الفكر الفلسفي:

لاحظنا كيف تجلى مفهوم ما بعد الطبيعة حسب اختلاف العصور، فموضوعه عند المدرسيين مشتمل على الأمور الإلهية والعلل الأولى كما رأينا، أما عند المحدثين فسيأخذ هذا المدلول بعدين سيتجليان في مشكلتين هما:

أولاً: مشكلة الوجود

تتخذ هذه المشكلة ثلاثة معاني هي:

١-العلم يبحث في الموجودات اللامادية وكمثال على ذلك: معرفة الله.

٢-العلم يبحث في حقائق الأشياء لا في ظواهرها.

٣-العلم يبحث فيما يجب أن يكون أي في الوجود المثالي.

ثانياً: مشكلة المعرفة

لعلم ما بعد الطبيعة من جهة مشكلة المعرفة عدة معان:

١-إن موضوع ما بعد الطبيعة هو المعرفة المطلقة التي نحصل عليها بالحدس المباشر(برغسون).

٢- علم ما بعد الطبيعة هو معرفة نحصل عليها بالعقل من جهة ما هو قادر بنفسه على إدراك حقائق الأشياء.

٣- يطلق اسم ما بعد الطبيعة على جملة المعارف المستمدة من العقل وحده (كانط).

٤- إن غرض علم ما بعد الطبيعة معرفة الوجود الحقيقي بتحليل التجربة وتركيبها على أكمل وجه.

٥- إن حالة ما بعد الطبيعة هي حالة فكرية تتوسط بين الحالة اللاهوتية (الميتافيزيقية) والحالة الوضعية، حيث يميل العقل للبحث عن حقائق الأشياء وأصلها (أوغست كونت).

في المحاضرة القادمة انشاءالله سنتناول محوراً جديداً بهذا الخصوص.